د. رضوى عاشور

الوصول الى الخيمة الاخرى

« اننا نتعلم من الجماهير (*) ، ونعلمها ، ومع ذلك فانه يبدو لي يقينا اننا لم نتخرج بعد من مدارس الجماهير، المعلم الحقيقي الدائم ، والذي في صفاء رؤياه تكون الثورة جزءا لا ينفصم عن الخبز والماء وأكف الكدح ونبض القلب.

لقد علمتني أم سعد كثيرا ، وأكاد أقول ان كل حرف جاء في السطور التالية انما هو مقتنص من بين شفتيها اللتين ظلتا فلسطينيتين رغم كل شيء ، ومن كفيها الصلبتين اللتين ظلتا ، رغم كل شيء ، تنتظران السلاح عشرين سنة (ص ٢٤١ – ٢٤٢) .

بهذه الكلمات بدأ غسان كنفاني روايته « أم سعد » (١٩٦٩) التي اهداها للسيدة الفلسطينية التي الهمته اياها : « الى أم سعد الشعب والمدرسة » وحماسية الاهداء والمدخل نتاج لفوران لحظة تاريخية فلسطينية بلغ فيها الكفاح المسلح ذروة من ذرى مجده وحقق فيها الانسان الفلسطيني الكادح أساطير عطاء غير محلوم بها ، اذ لم يتوقع مثقفو فلسطين ، مهما تركوا الاعنة لخيالاتهم ان تتحول مخيمات اللجوء الى قواعد شعبية للثورة المسلحة . ولكن كان هذا ما حدث ، واقع يمور بحياة غير معهودة ، فجاءت رواية غسان تحمل ذات النبض الحماسي ، جاءت تمجد الانسان الكادح وتستمد منه الحكمة والمعرفة ، هذا الانسان الذي يحمل راية المقاومة ويستشهد من أجلها . ان انحياز غسان كنفاني لفقراء الوطن الذي كثيرا ما عبر عنه في أعماله يصل هنا الى ذروته . كذلك جاءت أم سعد تعكس في شكلها الفني هذا الواقع الجديد فيتبنى غسان أكثر من أي وقت مضى الموقف القائل بالعلاقة « المباشرة » والجدلية بين الحياة والفن ، فأم سعد امرأة حقيقية عرفها غسان وهو اذ يتعلم منها ويكتب عنها يكتب أيضا لها . أن في مقدمة غسان القصيرة التي استهل بها كتابه أصداء من أحاديث ماوتسى تونج عن الادب والفن التي القاها في نيسان عام ١٩٥٤ والتي نادى فيها بالعلاقة الخلاقة بين الشعب والمثقف الثوري. يتعلم المثقف من الشعب ويصوغ ما تعلمه فنا ليعيده ثانية الى الناس ليكون ضوءا يكشف لهم الطريق الى الغد .

وأم سعد ، كما تبدو في الاهداء ثم في الرواية ، هي « الشعب – المدرسة » ، فبقدر ما هي امرأة فلسطينية بالذات تعيش في مخيم بعينه بقدر ما تمثل ايضا المرأة الفلسطينية الكادحة عموما في المنفى وفي داخل الوطن . ان رواية « ام سعد » ليست فقط عن انبعاث الشعب الفلسطيني وقوة الحياة الكامنة فيه ، ولكنها أيضا وبشكل أساسي عن الدور المعلم للشعب والمعرفة الثورية التي يكتسبها المثقف من خلاله . والرواية في لوحاتها التسع تقدم دروسا للراوي ، ان كل لوحة تقدم درسا وخبرة يكتسبها الراوي من أم سعد . ففداة الهزيمة حين « بدت (للراوي) الشمس المتوهجة وراء النافذة وكأنها مجرد قرص من النار يلتهب تحت قبة من الفراغ المروع . » (ص ٢٤٥) وحين « كنا (نحن المثقفين) نطوي أنفسنا على بعضها كالرايات (ص ٢٤٥) أتت ام سعد بفرع دالية لتزرعه . وضج الراوي الذي لم ير في الفرع الا غصنا خشبيا جافا بالامر ، وقال «أهذا وقته يا أم سعد ؟» (٢٤٩) . ولكن الغصن الخشبي الجاف ، في نهاية الرواية، أثمر وهكذا فان الدرس المستفاد من مجمل الدروس التسعة هو ان أي انكسار يمكن ان يتبعه نهوض لو أن الناس « أرادت » و « اختارت » و « فعلت » . وفرع دالية حتى وان بدا عرقا خشبيا جافا يزرع في التربة الصحيحة ، ولو في لحظة انكسار ، لا بد وان ينمو . هذا ما كانت تعرفه أم سعد ، وكان على الراوي ان يتعلمه

(*) فصل من كتاب : « الطريق الى الخيمة الاخرى : دراسة في أعمال غسان كنفاني » الذي يصدر هذا الشهر عن دار الاداب ، بيروت.

منها ، وهكذا بقدر ما تتوجه الرواية للكادحين من ابناء وبنات فلسطين لتعرفهم بأنفسهم وتبلور لهم الكامن في داخلهم ، تتوجه للمثقفين لتكون معرفتهم بأم سعد ، تماما كمعرفة الراوي ، درسا عن الشعب والتاريخ والثورة .

ان ام سعد ، كأمرأة ثورية ، ترى الكامن في اللحظة وتكتسب القوة من رؤيتها ، انها لا تراه لتمكنها من منهج بل بغريزتها وتمرسها في الحياة . انها تحمل وتعرف ان النطفة بداخلها سوف تكون طفلا ينمو امام عينيها ليصير رجلا أوامرأة،حملت بسعد وسعيد وولدتهم وتعهدتهم بالرعاية حتى كبروا . ولقد أعطاها تمرسها هذا المعرفة بمعنى الحياة ، قوة النماء الكامنة في الاشياء . ولذلك فهي في لحظة الهزيمة تزرع دالية ، لانها لا تهزم ، والدالية تبرعم .. لا بد .

ويفلح غسان كنفاني في خلق شخصية هي مزيج من الاسطورة والانسان العادي ، بل لعلها هي الاسطوري الكامن في العادي من البشر . ويحقق غسان هذا التوازن بالتصوير الواقعي للشخصية من ناحية ويربطها من ناحية اخرى بمجموعة من الصور الدالة التي ترقى بها الى مستوى الرمز . ان ام سعد تقدم لنا كأمرأة فلسطينية تسكن المخيم ، تعيش من العمل اليدوي البسيط : تغسل وتمسح وتنظف في مقابل قروش قليلة . وبيتها بالمخيم طيني وفقير تغرقه مياه الامطار بين حين وآخر . وزوجها، أبو سعد ، انسان محبط يعمل حينا ولا يجد عملا أحيانا وهو يفرغ احباطه في معاملته الفظة لاهل بيته ولكل من حوله . ويظهر في الرواية لام سعد .. ولدان هما سعد وسعيد ، ولا نستطيع ان نجزم ان كانا هما كل ابنائها ، والارجح ان هناك آخرين ولكننا لا نراهم .

ويذهب سعد ليصير فدائيا بعد هزيمة ١٩٦٧ ، ولا تخاف أم سعد عليه بل تشجعه وترى في ذهابه مفخرة . وحين تحكي ام سعد للراوي ـ (المثقف) عن التحاق ابنها بالفدائيين يكون رد فعله تقليديا ، فهو يتصور انها تقول له ذلك لانها قلقة على ابنها ، خائفة على فقده . ولكنها تفاجئه بموقفها : « أتدري ؟ ان الاطفال ذل ؛ لو لم يكن لدي هذان الطفلان لالحقت به . لسكنت معه هناك . خيام ؟ خيمة عن خيمة تفرق !.. لعشت معهم ، طبخت لهم طعامهم خدمتهم بعيني .. ولكن الاطفال ذل » (ص ٢٦٥) ان كلمة ام سعد العظيمة « خيمة عن خيمة تفرق » تكشف عن وعي عظيم بالفرق بين خيام اللاجيء وخيام الثوري .. بين خيام الجحيم الفلسطيني وخيام المطهر والخلاص . انها تعرف بوعيها المتقدم ان خيمة المنفى « حبس » ، اما خيمة الفدائي فهي اختياره الحر لطريق مستقبله . انها تقول للراوي عن سعد الذي رفض ان يوقع ورقة استنكار بالسجن حين كان محبوسا :

« أتحسب أننا لا نعيش في حبس ؟ ماذا نفعل نحن في المخيم غير التمشي داخل ذلك الحبس العجيب ؟ الحبوس أنواع يا ابن العم ؛ أنواع : المخيم حبس ، وبيتك حبس ، والجريدة حبس ، والراديو حبس ، والياس والشوارع وعيون الناس ، أعمارنا حبس ، والعشرون سنة الماضية حبس ، والمختار حبس .. تتكلم انت عن الحبوس؟ طول عمرك محبوس » . (ص ٢٥٥)

وان أم سعد ترى في الاختيار الحر خلاصا وحينا من مذلة تفرض على الانسان .. واختيار سعد ، في الحبس ، الا يوقع ورقة استنكار كان اختيارا حرا ، ومن هنا فحبسه ليس حبسا .

لقد عاشت أم سعد كل حياتها غارقة في وحل مخيمات المنفى ، تقول : « لا أريد ان اموت هنا، في الوحل ووسخ المطابخ . » (ص ٢٧١) انها ، تماما كما يختار سعد الذهاب ، تختار هي ان ترسل ابناءها واحدا وراء الاخر للخيمة الاخرى ، خيمة الفدائي . ان ارسالها لابنائها موقف واختيار حر ووعي بأنه « اذا لم يذهب سعد ، فمن سيذهب ؟ » (ص ٢٦٣) .

ولعل هذا الموقف هو نقطة التقاء أم سعد الواقع بأم سعد الاسطورة في الواقع . وفي محاولة بناء هذه الشخصية الواقعية الرمزية يربط غسان كنفاني أم سعد بمجموعة من الصور التي ترافق الشخصية من اول الرواية الى آخرها . وتنبع هذه الصور من ثلاثة مصادر أساسية : الارض والمخيم والمستقبل ، ترد احيانا منفردة واحيانا تجتمع في صورة واحدة .

تظهر أم سعد أول ما تظهر بالفقرة الاولى من الرواية « قادمة من رأس الطريق المحاط بأشجارالزيتون » ، تبدو « مثل شيء ينبثق من رحم الارض » ، وهي تمشي بقامتها العالية « كرمح يحمله قدر خفي » وفي الفقرة التالية مباشرة ترتبط الصور الثلاث بايحاءاتها المتعددة ، ان هذه المرأة تأتي ، وانها مرتبطة بالارض ، وانها تتجه للمستقبل ، في صورة واحدة جديدة مركبة : « هذه المرأة تجيء دائما ، تصعد من قلب الارض وكأنها ترتقي سلما لا نهاية له . » (ص ٢٤٥)

أم سعد ، حين يبتل شعرها في المطر « يبدو وكأنه تراب مسقي » (ص ٢٦٩) وحين تبكي تجيء دموعها « مثلما تتفجر الارض بالنبع المنتظر منذ أول الابد . » (ص ٢٧٠) ساعدها « يشبه لون الارض » (ص ٢٧٨) ، وراحتاها « تشبهان جلد ارض يعذبها العطش . » (ص ٢٩٣) .

وأينما تذهب أم سعد تحمل معها صرتها ، هويتها الفلسطينية الكادحة ، وأينما تكون تفوح رائحة الريف والمخيم، يجتمع فيها الماضي والحاضر .. وأيضا المستقبل. وينوع غسان في صورة الرمح التي ربط أم سعد بها في اول الرواية ، فهو تارة رمح وتارة علم وتارة نبع .

وترتبط ام سعد ايضا بفرع الدالية الذي تزرعه في

بداية الرواية والتي يرى الراوي لحظتها ، لحظة يأسه ، واحباطه وشعوره بالحصار ، ان هذا ليس وقته ، ولكنها تزرعه : سأزرعه ، وسترى كيف يعطي عنبا ، هل قلت لك انه لا يحتاج الى ماء ، وانه يعتصر حبات التراب في عمق الارض ، ويشربها ؟ » (ص ٢٥٣) .

ان زراعة فرع الدالية الناشف عقب الهزيمة حيث تبدأ الرواية وازهاره وقد تحول مخيم المنفى الى مخيم للثورة ليس فقط رمزيا ودالا على العديد من المعاني ، ومن اهمها ايمان أم سعد بقدرة الانسان على التجاوز والنهوض، ولكنه ايضا يشكل وحدة الرواية . فرغم أن أم سعد مكونة من لوحات لا تستمد ارتباطها من العلاقة العضوية بينها وبين بعضها ، اذ يمكن اضافة ما لا حصر له من اللوحات أو اسقاط واحدة او اثنتين من اللوحات الموجودة فعلا ، وهذا البناء لضرورة تفرضها الرؤيا سنناقشه فيما بعد ، الا أن زرع الدالية واثمارها في النهاية هي التي تعطي المعنى الكلي لهذه الرواية وتحولها من مجموعة لوحات الى عمل فني متكامل . ان « أم سعد » رواية عن بعث أمة ، ولادة الحياة من الموت ، تماء الثورة داخل مخيمات الذل والهزيمة ، وهكذا كما تختار أم سعد أن تلد اطفالها وتعطيهم للوطن ، وكما يختار سعيد ان يسير على درب اخيه سعد ليكون فدائيا ، فان أم سعد تغرس عرق دالية ناشفا غداة الهزيمة لتراه يزهر بعد حين .

والى جانب الصور التي ترتبط بها ام سعد كوسيلة لبناء وجودها الرمزي يلجأ غسان الى عدد من الوسائل الاخرى . فمعرفتنا بأن سعد ليس سوى فدائي واحد بين العديد من امثاله ، ونحن نراه فعلا في مشهد مع رفاقه ، ورؤيتنا لسعيد الابن الاصغر يقدم عرضا للتدريبات العسكرية مع عشرات من الاشبال الاخرين في المخيم ، يصبح دلالة اضافية على أن أم سعد ليست سوى أم واحدة من بين العديد من امثالها من امهات فلسطين . ويحكي أبو سعد للرجل العجوز الذي يقف بجواره وهما يشاهدان تدريبات الاشبال بالمخيم عن ابنه الصغير سعيد ثم يشير بفخر الى أم سعد قائلا : « هذه المرأة تلد الاولاد فيصيروا فدائيين ، وهي تخلف وفلسطين تأخذ ! » (ص ٣٣٤) بكلمات ابو سعد تتجسد في صورة هذه المرأة كل أمهات فلسطين اللائي يعطين الوطن .

وتتخذ صورة أم سعد رمز الام الفلسطينية اعظم أشكالها في الرواية في لوحة « في قلب الدرع » . في هذا الجزء يحاصر سعد مع عدد من زملائه الفدائيين في موقع داخل فلسطين المحتلة، ويظلون مختبئين في اماكنهم اياها ، يمتد الحصار فيها . وكانوا جوعى حين مرت امرأة ريفية فلسطينية ، قال سعد « ها قد جاءت أمي » (ص ٢٨١) وقال أحد رفاقه الاربعة انه لا بد قد جن لان أمه في المخيم ولكن سعد اصر على رأيه « انتم لا تعرفون أمي .. انها تلحق بي دائما ، وهذه أمي » (ص ٢٨٢) وناديها سعد وسط اعتراض الاخرين وذعرهم من ان تذهب المرأة وتنادي الجنود الاسرائيليين : « يا يما ردي علي » ... « انا هون يما » ... « أنا سعد ، يا يما جوعان » (ص ٢٨٥ ــ ٢٨٦) واقترب سعد منها حتى صار قريبا فلما رأته احتضنته وجاءت له ولرفاقه بالاكل وظلت تطعمهم خمسة أيام حتى أنفك الحصار فأخبرتهم بذهاب الجنود .

وتكتسب هذه اللوحة شاعريتها الرائعة ليس من أن المرأة الفلسطينية الاخرى تقدم لهم العون كأم ولكن من ان سعد يصير انها امه فعلا (وهي فعلا أمه لان كلا المرأتين واحد في الجوهر والمعنى) . وحين يعود سعد لامه يقول لها انه رآها هناك وانها لو لم تطعمه لمات جوعا ، ويقول لها انه يراها هناك دائما . اذن فنداؤه لهذه المرأة التي اطعمته ليس حادثة منفردة فهو دائما يرى امه داخل فلسطين ، لان ام سعد موجودة داخل فلسطين وفي المنفى . وحين تحكي أم سعد للراوي ما حكاه له ابنها ثم تستدير لتخرج يجد الراوي نفسه يناديها فجأة « ياما » فتقف . وهكذا تكتمل الدائرة فأم سعد هي أم الجميع ، انها الفلسطينية في داخل فلسطين ، وهي أم الفدائي الذي شب على أرض المنفى وهي ايضا الام الروحية للمثقف الثوري الذي يريد ان يكون ابنا بارا لفلسطين الثورة ولفسطين الكادحين .

ولا يقع غسان كنفاني في الخطأ الشائع الذي يقع فيه العديد من كتاب العالم الثالث المرتبطين بحركات تحرر بلدانهم حين يخلقون صورة مثالية للانسان الكادح ويمجدون بشكل مطلق ثقافة الشعب وانمطته الحضارية والاجتماعية، وكأن هذه الثقافة واقع ثابت وستاتيكي (وكتاب الزنوجة في غرب افريقيا ومن تأثر بهم مثل على هذا الاتجاه) ان تمجيد غسان لام سعد ليس سوى تمجيد لجوهر ارتباطها بالارض والثورة ، وهي في النهاية ليست صورة مثالية اذ نراها تمسح وتغسل وتكدح ، وأبو سعد يعاملها ، كما يعامل الكل بفظاظة لانه محبط ومكسور . ان الشيء الوحيد الذي يمجده غسان بلا تحفظ هو الثورة ، يمجدها كقيمة مطلقة قادرة على التغيير وعلى خلق روح جديدة في المخيمات ، روح الانبعاث . وتقول أم سعد :

« الفقر يا ابن العم .. الفقر يجعل الملاك شيطانا ويجعل الشيطان ملاكا ، ما كان بوسع أبو سعد ان يفعل غير ان يترك خلقه يطلع ويفشه بالناس وبي وبخياله ! كان أبو سعد مدعوسا ، مدعوسا بالفقر ، ومدعوسا بالمقاهره ومدعوسا بكرت الاعاشة ومدعوسا تحت سقف الزينكو ومدعوسا تحت بسطار الدولة .. فماذا كان بوسعه ان يفعل ؟ ذهاب سعد رد له شيئا من روحه وتحسن يومها قليلا ، وحين رأى سعيد تحسن اكثر ، اكثر بكثير . رأى المخيم غير شكل ، رفع رأسه ، صار يشوف ــ صار يشوفني ويشوف اولاده غير ، فهمت ؟ لو تراه الان يمشي مثل الديك ، لا يترك بارودة على كتف شاب يمرق من

جانبه الا ويطبطب عليها ، كأن بارودته القديمة كانت مسروقة ولاقاها . » (ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦) .

ان الثورة تغير الناس ، والانمطة الاجتماعية السائدة والتي هي نتاج ظروف تاريخية بعينها تتبدل مع تبدل الظروف الموضوعية . وبالتالي فحمل الفلسطينيين للبندقية لا بد وان ينعكس على سلوكاتهم وحالاتهم النفسية ، والثورة تدفع باستمرار في اتجاه أنمطة حضارية جديدة وثورية . ولعل مثالا دالا على هذا التغير هو استخدام أم سعد لرصاصة مدفع رشاش مفرغة ، مهداة اليها من سعد ، كحلية تتدلى من صدرها في سلسلة . ويعلق الافندي الاتي من قبل الحكومة ليسأل عن سعد حين يرى هذه الحلية بصدر ام سعد : « لقد غيرتن حليكن هذه الايام ! فتقول له أم سعد ان ما تلبس في عنقها ليس عقدا بل حجاب » (ص ٣٢٤) وفي طريق الافندي الى الخارج يلمح الحجاب القديم « حزمة قماش صغيرة مثلثة وملونة ومربوطة الى خيط سميك . » (ص ٣٢٥) عن هذا الحجاب الاول تقول أم سعد للافندي :

« صنعه لي شيخ عتيق منذ كنا في فلسطين ، وذات يوم قلت لنفسي : ذلك رجل دجال بلا شك . حجاب ؟ انني أعلقه منذ كان عمري عشر سنين . ظللنا فقراء ، وظللنا نهتريء بالشغل ، وتشردنا ، وعشنا هنا عشرين سنة . حجاب ؟ ، هنالك اناس ينتفعون بالضحك على لحى الناس ! ذلك الصباح قلت لنفسي : اذا مع الحجاب هيك ، فكيف بدونه ؟ أيمكن ان يكون هنالك ما هو اسوأ ؟ » (ص ٣٢٦) .

ان استخدام ام سعد لطلقة مفرغة كحلية حول رقبتها له أكثر من دلالة ، فالمرأة الفلسطينية التي تعيش في المخيم ، لا تتزين او تفخر بالذهب والفضة ، فهي لا تملكهما ولكنها في المقابل تفخر وتتزين بثورتها واستبدال الحجاب القديم بالطلقة يكشف عن قناعة هذه المرأة بأن القوى الغيبية لم تقدم لها شيئا وانه لن يحميها سوى الفعل ، في هذه الحالة الكفاح المسلح . ان الحجاب المرتبط بحفظ الانسان ودفع الشر عنه لا يمكن ان يظل في مجتمع ثوري كلمات او رسوما مهمة كتبها شيخ أو آخر . ان استخدام الطلقة المفرغة كعقد وحجاب رمز دال على دخول العديد من الافكار الجديدة والانمطة السلوكية المتقدمة على الحياة القديمة للجماعة . وثقافة الشعب ، وهذا ما يعيه غسان تماما ، ليست بالوجود الجامد الاستاتيكي بل هي تفاعلات ثرية وديناميكية ما دام الشعب نفسه حيا وفاعلا .

وما دمنا نتحدث عن الانظمة الاجتماعية وأثر الثورة عليها كما تنعكس في رواية « أم سعد » ، فان لي ملحوظة في هذا المقام قد لا يتوقف عندها الكثيرون وان كنت أتوقف انا نفسي لانني كامراة اظل ابحث عن مكاني في المجتمع وصورتي في الفن . ان ام سعد رغم ثوريتها تظل صورة للمراة الام ، وعطاؤها العظيم يعطيها مكانتها كأم ثورية اكثر منها كثورية في ذاتها وبذاتها . انها تعطي ابنها للثورة وهي حين تقول كلمتها العظيمة « خيمة عن خيمة تفرق » تلحقها بالقول بأنه لولا مسئولية تربية اطفالها للحقت بالفدائيين لكي تطبخ لهم وتخدمهم . اذن يظل دورها هنا ، حتى في الثورة ، دور المساعد وليس دور الفاعل الاساسي . وحتى لا يخطيء القارىء فهمي اود ان اوضح انني هنا لا اعيب شيئا على ام سعد ، الشخصية الروائية . فبناؤها كشخصية متناسق تماما ، وتفكيرها منطقي مع تكوينها ، ولكنني اتحدث عن قصور في تقديم صورة المرأة الثورية . وقد يدافع البعض عن غسان كنفاني فيقول انه كان يعكس واقعا بعينه ، والثورة الفلسطينية ، رغم العطاء الكبير الذي قدمته المرأة في صفوفها سواء في الكفاح المسلح او في النضال السياسي داخل فلسطين المحتلة ، تظل ثورة ذات توجه ذكوري ، الفاعل الاساسي فيها هو الفدائي الرجل ، والثورة تغرس في كوادرها القيم الذكورية التي تمتد عميقا في تربة تراثنا العربي . وبما ان هذا واقع الثورة الفلسطينية فلم يكن غسان الا شاهدا امينا عليه ، ولكني اجيب على هذه الحجة بقولي ان الكاتب وان كان ملتزما بصورة امينة للواقع ، الا انه يظل حرا في اتخاذ اي موقف تجاهه رفضا او قبولا ، وتعبيره عن وجهة نظره جزء من مهمته كأديب وحرفته كمبدع . اننا في الرواية نرى ولدين لام سعد هما سعد وسعيد ، الاول فدائي والاخر شبل واتساءل ما الذي كان يفعله غسان او اراد ان يكون الولد الثاني لام سعد بنتا ، كيف كان يقدمها وما هو الدور الذي كان يعطيه لها ، هل كانت تصبح اخت الفدائي ام شيئا آخر ؟

اعتقد ان هذه الابنة لام سعد كانت سوف تطرح على غسان كنفاني العديد من المشاكل الفنية ولا اقول انه تحاشى وجودها لهذا السبب ، بل الارجح ان الفكرة لم تخطر بباله اصلا . ولو اخذنا كتابات غسان ككل فسوف نجد صور المرأة فيها قليلة للغاية ، انه يعرف الرجال اكثر وبالتالي فهو يكتب عنهم ، ومن البديهي والمسلم به ان من حق كل كاتب ان يكتب عما يعرف اكثر . ومع هذا اقول انه ما دام غسان كنفاني قد اضطلع بمهمة الكتابة عن الوجود القومي لامة وماهيتها ، فان غياب المرأة الا كأم او كأخت اي كامتداد للرجل ، مركز الوجود والصورة ، يظل عيبا يؤخذ عليه . وهذا العيب لا يخص غسان وحده بل نجده يتكرر في نتاج العديد من الكتاب العرب وغير العرب الذين ، رغم تبنيهم للمواقف الثورية التقدمية ، يظل موقفهم من المرأة متخلفا وغير مرض .

***

ننتقل بعد ذلك للقضايا الشكلية التي تطرحها « ام سعد » وهي متعددة . اولها قضية بناء الرواية . ان « ام سعد » من الروايات التي تثير جدلا حول شكلها وتتفاوت ردود فعل قرائها ما بين متحمس

شديد الحماس وبين معتقد بانهـا اجتهاد متواضع لا يرقى الى مستوى الرواية . وفي رأيي ان هذه الرواية التـي جاءت ، كمـا قال غسان نفسه ، ردا من ناحيـةالشكـل على « مـا تبقى لكم » (١٩٦٦) هي محاولة جريئة من قبل كاتبها في ارتياد شكل تجريبي ، فبناء الرواية مفكك غير عضوي ، وهذا ليس عيبا فنيا في العمل ، ولكنه انجـاز يفرضه موضوع الرواية . ان غسان يختار للتعبير عـن تجربته بناء ملحميا وليس عضويا لانه لا يقدم حدثـا واحـدا يتصل بفرد او بجماعـة بل مجموعة من احداث تخص شعبا وواقعه التاريخي ، وفي مجملها تشكل هذه الاحداث معنى كليـا . ان اللوحات التسع التي تتكـون منها الروايـة والتي تشكل ، كل منهـا على حدة ، وحدة منفردة . يمكن ان تتسع لما لا حصر له من اللوحـات الاضافية ، ما دامت جميعهـا سوف تصب في هذا المعنى الكلي الذي اشرنا اليه . ونلاحظ ان العديد من الكتـاب الذيـن يتناولون الواقع التاريخي لامة يلجأون لهذا الشكل غير العضوي والذي قوامه وحدات منفصلة قابلة للزيادة او للنقصان . ولقد اختار الكاتب الفلسطيني اميل حبيبي في روايته « الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابو النحس المتشائل » (١٩٧٥) نفس هذا البناء . ورغم الاختـلاف الكبير بيـن الروايتيـن وبيـن شخصيتي المتشائل وام سعد وزاويـة التناول التي يختارهـا كل من الكاتبين ، فهنـاك شيء اساسي مشترك بين العملين ، الا وهـو التصدي لواقع صمود امة للهزيمة الكاملـة عبر مسيرتهـا التاريخيـة . يختار غسان كنفاني لموضوعه البطولـة والاسطورة الكامنـة في الانسان الكادح والعادي ، ويختار اميل حبيبي شخصيـة فكاهيـة هي عكس البطـل الاسطـوري في الملاحم القديمة ليقدم من خلاله الملحمـة البطوليـة لصمود شعب .

واتذكر بهذه المناسبة حادثة دالة تفيدنا في هـذا السياق . فلقـد كنت مرة احضر نـدوة لاحد الشعـراء الفلسطينيين الذي القى قصيدة سردية تتناول تاريـخ الشعب الفلسطيني من ١٩٣٦ الى ١٩٧٠ والقصيدة مكونة من افتتاحية وعدد من هذه الوحدات المنفصلة الـ episodes وخاتمة . وحين انتهى الشاعر من قراءة قصيدته قام احد الطلاب الذيـن كانوا بالندوة وقال معترضا انه لا يفهـم كيف يكـون لقصيدة من هذا النوع خاتمـة فمـا دامت القصيدة تتناول تاريخ شعب ونضاله ومـا دام النضـال مستمرا فلا يمكـن ان يكون هناك خاتمة ! وضحـك الحاضرون اذ بدا لهم ان هذا الشاب لا يفهم الفارق بين الحياة والفن . والواقع ان ملحوظة هذا الشاب كانـت تحتوي حكمـة افادتني ، ذلك انه بتلقائيته السليمة وعى ان هذا النوع من البناء يحتمل اضافات لا نهائية والوحدات الداخلية التـي تشكله يمكـن ان تزيـد معبرة عن حلقات جديدة في الواقع التاريخي المعبر عنه . والخاتمة في هذه الحالة ليست خاتمة بقدر مـا هي خلاصة شعرية من نوع ما تكـون صالحـة حتى فـي حالة زيـادة او نقصـان هـذه الوحدات الداخليـة .

ان روايـة « ام سعد » تنتمي لما يسمـى بالادب القومي ، اي هذا النوع من الادب الذي يضطلع بتقديـم صورة الذات القوميـة في مرحلة معينة من تاريخها . انها روايـة فلسطينيـة تؤكـد الماهيـة الوطنيـة للانسـان الكادح الفلسطيني اثناء كفاحه مـن اجـل النهوض والتحرر . ويلتزم غسان كنفاني في روايته بالعديد مـن سمات الروايـة الاشتراكية كمـا أصلها النقاد والكتـاب الاشتراكيـون . ومن هذه السمات التي نجدها فـي « ام سعـد » :

اولا : الانحياز للانسان الكادح ، وبمـا ان غسـان فنان اصيل وليس ناقلا فهو يعي تمامـا ان صورة الكادح الفلسطيني في اكثر اشكـالهـا الدالـة ليست صورة العامل البروليتاري بل صورة ابـن او بنت المخيم . ان المخيم هو وقود الثورة الفلسطينية ، ورغم ان هذه الثورة ثورة تحرر وطني يشارك فيهـا الكادحون والطبقـة الوسطى على السواء ، الا ان سكان المخيمـات دفعوا وما زالوا يدفعون ضريبة التحرير اكثر من كل الاخرين . ان اكثر من ٨٠ بالمئة من شهداء الثورة من سكان المخيمات .

ثانيا : اهتمام غسان بان يصور ميلاد الغد من رحم اليوم ، اي تركيزه على ديالكتيكية الحركة في الواقـع الفلسطيني والتي تؤدي الى انماط اجتماعية اكثر ثورية .

ثالثا : التفاؤل ، والتفاؤل هنـا ليس تفـاؤلا اهوج او مفروضا من قبل الكاتب على الواقع بل هو استشراف للمستقبل منبعه معرفة القوى الفاعلة في الحاضر واتجاه حركتها . ان التفاؤل الذي يعبر عنه غسان في روايـة « ام سعد » تفاؤل ينبع من ايمـان شديد بقدرة الشعـب الفلسطيني على تجاوز الهزيمة عبر الثورة وعبر تقديم كل ما تتطلبه من تضحيات جسام . انه تفاؤل من يعرف ان الحاضر ليس لحظـة متقطعـة الجذور ، منعزلة كجزيـرة موحشة وسط بحر متلاطم ، بل هي وجود في حركة تاريخ لها جذور في الماضي وحركة تتوجه للغد .

رابعا : التعليمية ، ونعود ثانية هنـا لما قالـه غسان في حديث اذاعي سبق ان اشرنا اليه في فصل سابق عن روايـة « مـا تبقى لكم » . يقول غسان ان هذه الروايـة جعلته يتساءل لمن يكتب ، وانه توصل الى ان هدفه مـن الكتابة هو الوصول الى الناس وان تصبح كتابته جزءا من الثقافـة الموجودة . ولقد وجدت هذه الاجابة النظريـة تعبيرا فنيـا في روايـة « ام سعد » . فعلـى الرغـم من ان كلا من « ما تبقى لكم » و« أم سعد » روايتـان تجريبيتان ، الا انه بقدر مـا تتسم الاولى بالصعوبة نتيجة لاستخدامها اسلوب تيار الشعور والتداعي الذي لم يألفه القاريء العربي ، تتسم الثانية بالسهولة الشديدة حتـى

انه يمكن وصولها ببساطة لاي شخص بامكانه القراءة. وكل لوحة من اللوحات التسع في الرواية تقدم درسا للراوي على يد ام سعد ويكون هذا الدرس في نفس الوقت درسا واضحا ومحددا للقاريء نفسه .

ان هذا الجانب التعليمي من الرواية صفة من صفات الادب الاشتراكي ، وتبني غسان له في روايته لا يشكل فرضا مفتعلا لآرائه بل يشكل جزءا اساسيا من مضمون الرواية ذاتها . فرواية « ام سعد » ، كما سبق واشرنا، في مجملها ، هي درس تعطيه ام سعد للراوي . ونتوقف هنا وقفة قصيرة عند الدور السلبي للراوي ونتساءل ان كان المقصود به ان المثقف ، في مدرسة الشعب ، يصبح مستقبلا مستفيدا على طول الخط ، وكأنه يتحول الى طفل صغير ينهل من معرفة استاذ عظيم ؟ ثم نتساءل ان لم تكن هذه الصور للمثقف الثوري مجحفة به وبدوره كطليعة ؟ وهل العلاقة بين المثقف والجماهير علاقة من جانب احد ، ام هل اراد غسان ان يقدم هذا المثقف المهزوم نفسيا لحظة الهزيمة في طور اعداده ، على يد ام سعد ، لكي يكون ثوريا ؟ ان مقدمة غسان القصيرة للرواية قد تحمل شيئا من الاجابة على هذه الاسئلة خاصة حين يقول « اننا لم نتخرج بعد من مدارس الجماهير . » وقد يكون في هذه الاجابة بعض التبرير لسلبية الراوي وان لم يكن فيها التبرير الكامل المقنع. وبصرف النظر عما اذا كان غسان كنفاني قد رأى في تخلف المثقف عن الجماهير الثورية صفة دائمة او وضعا عارضا يتم تجاوزه ، تظل هناك حقيقة واحدة مؤكدة وهو ايمانه بان الجماهير في حركتها مصدر لمعرفة لا تنضب وان على الفن ان ينقل جزءا من هذه المعرفة فيؤدي بذلك جزءا من دوره التعليمي النابع من صميم ارتباطه بحركة التحرر الوطني لهذه الجماهير .

***

في عام عام ١٩٦٩ نشر غسان كنفاني عملين روائيين هما « ام سعد » ، و« عائد الى حيفا » . وعلى الرغم من كتابة الروايتين في الوقت نفسه تقريبا ، الا ان بينهما فارقا كبيرا في المضمون والشكل والمستوى الفني . ففي حين تتناول « ام سعد » كادحي المخيم في صلابتهم وانطلاقهم في ثورتهم المسلحة ممثلين في ام سعد واسرتها تقدم لنا رواية « عائد الى حيفا » شخصيات من الطبقة الوسطى الفلسطينية التي لم تفقد وضعها الطبقي بفقدها للوطن . ويلتزم غسان في تصويره للحدث شكلا يختلف تمام الاختلاف عن الشكل الذي استخدمه في روايته السابقة ، فهو هنا يقدم حدثا واحدا له بداية ووسط ونهاية وتسلسل يعرض علينا في بناء عضوي.

سعيد س . ووزجته ، اللذان كانا قد غادرا حيفا تحت القصف في نيسان عام ١٩٤٨ تاركين وراءهما ابنهما البالغ خمسة شهور واللذان لم يستطيعا العودة اليه لاخذه ، يعودان بعد فتح الابواب بين المنطقة المحتلة في ١٩٤٨ والضفة المحتلة في ١٩٦٧ لزيارة بيتهما القديم في حيفا . وهناك يجدان امراة اسرائيلية تسكن في بيتهما وقد تبنت الطفل الذي صار ضابط احتياطي في الجيش الاسرائيلي . وتحدث مواجهة بين سعيد وزوجته من ناحية وابنهما خلدون من ناحية ، والذي صار اسمه دوف ، فينكرهما الابن . ويعود سعيد وزوجته صفية الى الضفة وقد حدث نوع من الاكتشاف ـ المعرفة الذي يؤدي الى تبدل في موقفهما من اشتراك ابنهما الاصغر خالد في المقاومة المسلحة . قبل ذهابهما كانا يعترضان على تطوع خالد . اما بعد زيارتهما لحيفا وانكار خلدون ـ دوف لهما فيتمنى الاب ان يعود فيجد خالد قد عصاه وترك البيت والتحق بالفدائيين .

ان مواجهة سعيد وزوجته بحيفا بعد عشرين سنة من تركها وبابنهما خلدون بعد سنوات طويلة من فقده ، تجسيد لمواجهة جيل فلسطيني كامل بمسئوليته في فقد فلسطين وبعقم موقفه المتباكي من هذا الفقد على مدى عشرين عاما كاملة . ولقد اراد غسان ان يجسد هذه المسئولية بشكل صارخ حين جعل سعيد وزوجته يتركان وراءهما طفلا رضيعا لا يتجاوز عمره خمسة شهور . ان دوف ، الذي كان في الاصل خلدون ، يسأل امه بالتبني بعد ان قابل والديه الاصليين بجفاء واستهزاء «ماذا جاءا يفعلان ؟ لا تقولي انهما يريدان استرجاعي ! » (ص ٣٩٨) ثم يوجه الكلام لهما حين يسألانه ما الذي كان بامكانهما ان يفعلا :

« كان عليكم الا تخرجوا من حيفا . واذا لم يكن ذلك ممكنا ، فقد كان عليكم بأي ثمن الا تتركوا طفلا رضيعا في السرير . واذا كان هذا ايضا مستحيلا فقد كان عليكم الا تكفوا عن محاولة العودة .. اتقولون ان ذلك ايضا كان مستحيلا ؟ لقد مضت عشرون سنة يا سيدي ! عشرون سنة ! ماذا فعلت خلالها كي تسترد ابنك ؟ لو كنت مكانك لحملت السلاح من اجل هذا . ايوجد سبب اكثر قوة ؟ عاجزون ! عاجزون ! مقيدون بتلك السلاسل الثقيلة من التخلف والشلل ! لا تقل انكم امضيتم عشرين سنة تبكون! الدموع لا تسترد المفقودين ولا الضائعين ولا تجترح المعجزات كل دموع الارض لا تستطيع ان تحمل زورقا صغيرا يتسع لابوين يبحثان عن طفلهما المفقود .. لقد امضيت عشرين سنة تبكي .. أهذا ما تقوله لي الآن ؟ أهذا هو سلاحك التافه المفلول ؟ » (ص ٤٠٦ ـ ٤٠٩).

ويكتشف سعيد ازاء هذه المواجهة القاسية ان فلسطين كانت له حائطا يبكي عليه وجنة يتحسر على فقدها، وموقف سعيد هذا ظل شائعا لسنوات طويلة بين الفلسطينيين وانعكس في نتاج العديد من كتاب الفترة .

ان سعيد يتساءل وللمرة الاولى عن معنى الوطن ويكتشف ان فلسطين كانت دائما بالنسبة له ماضيا

يتحسر على فقده ، اما ابنه خالد الذي لم يعرفها فهي تمثل له المعنى والمستقبل ، ولذلك فهو يريد ان يحمل السلاح وهناك « عشرات الالوف مثل خالد لا تستوقفهم الدموع المفلولة لرجال يبحثون في اغوار هزائمهم عن حطام الدروع وتفل الزهور ، وهم انما ينظرون للمستقبل ، ولذلك هم يصححون اخطاءنا ، واخطاء العالم كله .. ان دوف هو عارنا ، ولكن خالد هو شرفنا الباقي » (ص ٤١٢) ان دوف رمز لجريمة جيل فلسطيني مدان ترك الارض ثم تباكى على فقدها . اما خالد فهو صورة جيل جديد يحمل السلاح ليصنع خلاصه وخلاص الوطن .

ويقدم غسان الى جانب الحبكة الاساسية التي تدور حول اسرة سعيد وحيفا حبكة فرعية تتوازي وتتناقض مع الحبكة الاولى . يعود فارس اللبدة الى يافا بعد عشرين سنة ليزور بيته فيجد فيه شخصا عربيا يقيم فيه مع اسرته . وفي حجرة الجلوس يجد فارس صورة اخيه بدر الشهيد في نفس المكان الذي كان هو واسرته قد وضعوها فيه قبل الرحيل . ويطلب فارس صورة اخيه ويعود بها ، ولكنه في الطريق يطلب من السائق الرجوع الى يافا بعد ان احس ان هذه الصورة ليست من حقه . وحين يعيد فارس صورة اخيه لمن عاش معها عشرين عاما يقول له الرجل انه فرح ان الصورة قد عادت له . ذلك انه بعد ان سمح له بأخذها شعر بالندم ، كما شعر كل افراد اسرته بالذهول كأن جزءا اساسيا من حياتهم قد اختفى فجأة : « وفي الليل قلت لزوجتي انه كان يتعين عليكم ، ان اردتم استرداده ، ان تستردوا البيت ، ويافا ، ونحن .. الصورة لا تحل مشكلتكم ولكنها بالنسبة لنا جسركم الينا وجسرنا لكم . » (ص ٣٩٣) ان صورة الشهيد ، الدماء التي بذلها الفلسطينيون في نضالهم المستمر من اجل الارض ، هي جذور الفلسطيني سواء كان بالمنفى او على ارضه في فلسطين . لقد حمل فارس اللبدة بعد ذلك السلاح وكان قراره قرارا بالوفاء لجذوره المتمثلة في صورة اخيه .

ان فارس اللبدة ، قبل حمل السلاح ، وسعيد ، هما الصورة السلبية التي يقدمها غسان للشعب الفلسطيني . اما العربي الذي احتفظ بصورة بدر اللبدة الشهيد وخالد ، الذي لا يظهر في الرواية ، فهما صورته الايجابية والواعدة .

لقد ادت هزيمة عام ١٩٦٧ وفتح الابواب بين شقي فلسطين ، الشق المحتل في ١٩٤٨ والذي اطلق عليه اسم اسرائيل والشق الذي احتل في ١٩٦٧ وسمي بالضفة الغربية المحتلة ، وتصاعد الكفاح المسلح ، الى حدوث هذه المواجهة بين الصورة السلبية والصورة الايجابية للشعب الفلسطيني بشكل مباشر لم يحدث من قبل . ولقد قدم لنا اميل حبيبي في مجموعته « سداسية الايام الستة » صورة هذه المواجهة من وجهة نظر الذين عاشوا فيما يسمى باسرائيل . لقد عاش الانسان الفلسطيني الذي لم يترك ارضه متحملا الضغوط المادية والمعنوية التي يفرضها عليه الكيان الصهيوني على امل ان يأتي اليوم الذي يضم فيه شقا الوطن بعد تحرير الجزء المحتل منه . ثم حدث الضم فعلا ولكن بعد احتلال الضفة للجزء الذي لم يكن محتلا . وفي حين يصور اميل حبيبي خيبة الامل والفجيعة اللتين مني بهما الفلسطينيون في شق الوطن المحتل اولا ، يعبر ايضا عن ادانته لمن تركوا الارض ، وهو يسجل هذه الادانة في قصتي « ام الروبابيكيا » و « عودة جبينه » . اما غسان كنفاني فيقدم لنا صورة مشابهة ولكن من موقع الذي ترك ولم يتمكن من العودة الا بعد احتلال الارض بالكامل . ان غسان يسجل مشاعر الفلسطيني العائد الى ارضه ، التي لم تعد له ، بشعور ممض بالذنب لكي يرى ما ترك وراءه وسط القصف والذعر ولقد كان تسجيل غسان لشعور الفلسطيني العائد خطوة اخرى من خطواته في مواكبة الحدث السياسي الفلسطيني وانعكاساته على الواقع النفسي للامة في كتابته الابداعية . والقوى التي يقدمها غسان في روايته هي القوى الفاعلة فعلا في الواقع الفلسطيني في تلك اللحظة : الذين تركوا (سعيد وصفية) ، الذين بقوا وعاشوا كادحين مرتبطين بارضهم وبتاريخ شهدائهم في الارض (الشخص الذي استأجر بيت فارس اللبدة وعاش فيه مع اسرته) ، الجيل الذي نشأ في المنفى ولم يعرف فلسطين ولكنه حمل السلاح مطالبا بها (خالد) ، البلاد التي تنكر اهلها والتي تغير الكثير من ملامحها (حيفا ودوف) ، واخيرا المهاجر اليهودي (ابو دوف وامه بالتبني) . وعلى الرغم من ان الرواية تستغرق يوما واحدا الا انها ترتبط وتستحضر مساحة زمنية تمتد من ١٩٤٧ والخروج الفلسطيني وحتى عام ١٩٦٧ واحتلال فلسطين بالكامل .

ان المادة الحياتية التي تعرض لها غسان كنفاني في رواية « عائد الى حيفا » مادة خصبة وغنية ، ولكنه للاسف لم يعطها الجهد الكافي لاستغلال معطياتها الفنية . فالرواية رغم تعرضها لهذا الواقع بقواه المختلفة تظل رواية محدودة فنيا مكتوبة على عجل ، فيما يبدو ، فتجنح لنقل الواقع بشكل ذهني لا يصل في الغالب الى التناول الوجداني الذي يخلق الفن الجيد . وتقدم لنا الشخصيات كأدوات للحدث ، وكأنها شخصيات في قصة قصيرة ، فلا نراها في اكتمالها الانساني . وهناك شخصيات مثل خالد لا نعرف عنها سوى الاسم والانتماء لجيل وموقف . اما دوف (خلدون في الاصل) فلا نرى منه سوى مجموعة من العبارات الخطابية . ان شخصيات « عائد الى حيفا » شخصيات تعبر عن افكار وقناعات اكثر منها شخصيات اخذت مداها في النمو لكي تخرج الينا وجودات حية لها وزنها وقيمتها في الرواية وفي عالمنا . ولقد اختار غسان لروايته بناء تقليديا

يبدأ بالموقف فتطور الحدث ثم اكتشاف يؤدي الى تغيـر فالنهايـة ، والكل مترابط في بناء عضوي قوامه حبكـة اساسيـة واخرى فرعية . ان غسان باختصار يختـار البناء الكلاسيكي كمـا قدمه وشرحه لنا ارسطو قبل الفي عام في كتابه « الشعر » ولكـن البناء وحده لا يخلق عملا فنيـا جيـدا .

ولعل احد الامور التي تعرض لها غسان في« عائد الى حيفا » وكان جهده فيها رياديا ، محاولتهالجادةلتقديم انسان يهودي اسرائيلي كشخصيـة روائية . وهـو ما لا اعتقـد انه تم على يد اي اديب عربي قبله . فالاسرائيلي في الادب العربي يقدم كعدو وبالتالي فلا تتم ايـة محاولة جادة لمواجهـة انسانيته فنا ، انه يقدم عادة في شكـل كاريكاتوري مثير للضحك او منفر . اما غسان فقد اختار رجلا وامرأة من المهاجرين الاوروبيين الهاربين من مذابح النازية هما ايفرات كوشن وزوجتـه ميريام . انهمـا يهوديـان عاديـان ان كانا يحمـلان مسئوليـة الاستيطان في ارض على حساب اهلها فهمـا في نفس الوقت ليسا من عصابات الصهيونية ، بل ان الحلم الصهيوني كانخدعة لهمـا بدرجـة من الدرجات . ان ميريام البولندية الاصل ترى في الطفل العربي المقتول صورة اخرى من اخيهـا الذي قتله النازيون في اوشفيتز ،وهي ترغب في العـودة مرة اخرى الى اوروبا . انغسان كنفاني يربط بواسطـة تقديم هذه الشخصية وتاريخها ، لاول مـرة في الادب العربي ، بيـن عذاب المضطهدين في كل مكان ، عـذاب الانسان الفلسطيني على يد الصهاينة وعـذاب الانسان اليهـودي على يد النازية . اننا نتعاطف مع ميريام فـي الروايـة ، وفي اعتقادي ان هذا انجاز . ولكـن التسرع الذي تتسم الرواية به قد ترك اثره على شخصيتيميريام وزوجهـا اللتين كان من الممكـن ان يقدمـا للقاريء بشكل اكثر عمقا ، كان من الممكـن ان يكون غسان اكثر جرأة مـن الناحيـة الفنية فيصور العالم الداخلي لشخصية يهودية من نوع ميريام او افرات .

ان غسان كنفاني ، فيمـا يبدو ، كان يريد ان يضع في هذه الروايـة كل قناعاته الجديدة ، قناعاتـه عـن مسئوليـة جيل كامل في ضياع فلسطين ، قناعاتهالخاصة بمن اختاروا حمل السلاح لتحريرها،وقناعاته ايضا بعلاقة الاضطهاد التي تربط الانسان الفلسطيني الكادح بالانسان اليهودي المعذب ، وقناعاته بامكانيـة التعايش فيالدولة الديمقراطية العلمـانية . كانت هذه قناعات كثيرة وكانت تحتاج لبعض الوقت لكيتختمر بوجدان غسان حتى تخرج الينا في شكل فنيجيد ، ولكنه كان على عجل يريد مواكبة الحدث الفلسطيني الذي كان يتحرك بسرعة مذهلة .

***

بيان الصفدي

قصائد قصيرة

(١) البدء

قولي شيئا لم أسمع من قبـل !
أعطيني حبا لم يمنح من قبل !
وخذيني لشواطيء لم تعرف من قبل !
حتى يمكنني ان ابدأ حالة حب
هذا في ادنى الحالات ...

(٢) شيء مـا

ان كان لعشقك ان يبقى مؤتلقا
فلتبتدئي الآن !.

(٣) البحر كان الشاهد

قالت لـي :
ـ لا تهجرني فأنا موحشة
قلـت :
ـ ولكنـي أختنق بحُمّى القهر
قالت لـي :
ـ لا تنس العاشقة الكبرى
فأجبت :
ـ وكيف سأنسى
والشاهـد كان البحر ؟!

(٤) أفراح صعبة

قالت :
ـ ما عدت أطيق حياتي
قلـت :
ـ ولكنك تحيين
قالت :
ـ ما أصعب ان يفرقنا لجّ طام
قلـت :
ـ صحيح !.. لكنا نقدر ان نفعل شيئا
حتى في داخل انفسنا !
فابتسمت ..
من يوم .. جاءت تخبرني في فرح ..
قالت :
ـ في الدنيا اطفال وبحار .. ومراكب
فيها ناس بسطاء كهذي الارض
وأحلام قابلة للتحقيق !

بغداد